القصيدة الثّالثة (٣٧) بيتاً
بَدْء الوَحي (من الكامل)

١- في شِـعْبِ مكّـةَ في رفيـعِ جَنابِهـا ... وُلِـدَ الهُـدَى بالقُـرْبِ مـن مِحْرابِهـا

٢- هـي سُـرَّةُ الـدُّنْيا وسِـرُّ وُجودِهـا ... مِـنْ تحتهـا امْتَـدَّتْ إلى أَتْرابهـا

٣- أمُّ القُـرى هـي حـين تَطْمَـحُ قريـةٌ ... في حُسْـنِ حاضِـرِها وحُسْـنِ مآبهـا

٤- هـي أمُّ هـذا الكـونِ إنْ شاءُوا قِرَى ... فـالجُوعُ ممنـوعٌ يُـرَى بِرِحابهـا

٥- وهْـي الأَمـانُ لِمَـنْ أراد سَـلامةً ... إنّ السَّـلاَمَةَ دائمـاً مَرْحَـى بهـا

٦- صُـنْعُ المليـكِ لِمَـنْ يجـاورُ بَيْتَـهُ ... ويَطُـوفُ بالغَـرّاءِ في جِلْبابهـا

٧- مـا أَعْظَـمَ الإطْعـامَ مِـنْ جُـوعٍ بهـا ... وألـذَّ طَعْـمَ الأَمْـنِ فَـيْضَ شِـعابها

٨- مَهْـدُ المُـروءةِ إن أَرَدْتَ مُـروءةً ... أمّـا الشّـجاعَةُ فَهْـي مِـلْءُ إهابهـا[1]

٩- سُـبْحانَ مَـنْ خَـصَّ المعظِّـمَ كَعْبَـةً ... بِالفَضْـلِ رَغْـمَ الجَـمَّ مِـنْ أَنْصـابها

١٠- مَلِـكُ الْمُلـوكِ إذا يطـوَّق مِنَّـةً ... لا تَسْـأَلَنَّ الـدَّهْرَ عـن أَسْـبابها

١١- بِبِنـاءِ بيـتِ اللهِ نـورُ صَـباحِها ... وبِبِعْثَـةِ المُخْتـارِ فَجْـرُ شَـبابها

١٢- نَفْسـي الفِـداءُ لِعابِـدِ مُتَبَتِّـلٍ ... في الغـارِ يَسْـمُو فَـوْقَ هـامِ سـحابها

١٣-يَرْنُـو إلى البَلَـدِ الحـرامِ وكعبـةٍ ... غـرّاءَ تَرْفُـلُ في وَقُـورِ ثيابهـا

١٤- يَرْنُـو إلى أَجْيادِهـا والمُنْحَـنَى ... والأَخْشَـبينِ وشِـعْبِها وهِضـابها[2]

١٥- بِالأَمْـسِ كـان رُؤاهُ صِـدْقاً كلُّهـا ... واليـوم تَخْلُـو الـنَّفْسُ مـن أَوْصـابها[3]

١٦- نَفْـسُ الأَمِـينِ سَمَـتْ لِأَرْفَـعِ غايـةٍ ... فَتَهَيّـأَتْ لِنُـزولِ آيِ كتابهـا

١٧- الـرُّوحُ قـد خَـصَّ الأمـينَ بِباقـةٍ ... مِـنْ آيِ كُبْـرَى المعجـزاتِ بِبابهـا

١٨- تَوْحِيدُ ربَّ العَرْشِ أُسُّ عِمادِها ... والعِلْمُ والأَقْلامُ مِنْ أطنابها[4]

---

(١) الإهاب : الجِلْد والمراد هنا الثّوب .

(٢) الأخشبان : جبلا مكّة المطلاّن عليها تثنية الأخشب .

(٣) الأوصاب : الأوجاع والآلام والمفرد الوَصَب .

(٤) الأطناب : الحِبال والمفرد الطُّنُب بسكون النّون وضمّها .

١٩- بِاسـم الإلـهِ تكـونُ كـلُّ قِـراءةٍ الخـيرُ مُنْهَمِـرٌ علـى أَصْـحابها
٢٠- وبِنـاءُ صَـرْحِ الحـقَّ كـلُّ صَـحِيفةٍ تَسْـعَى لَـهُ فَـرْضٌ علـى أَرْبابهـا
٢١- مِـنَنُ الإلـهِ علـى العِبـادِ جَسـيمةٌ ووفـاءُ حَـقَّ الشُّـكْرِ مِـنْ آدابهـا
٢٢- كيـفَ الحيـاةُ تكـونُ دونَ محمّـدٍ أتكـونُ شـيئاً غَيْـرَ شِـرْعَةِ غابهـا
٢٣- أَسَدُ الشَّرى وأبو الفوارسِ والوَغَى هـل كـان إلاّ ضـفْدَعاً بِعُبابهـا[١]
٢٤- مِـنْ أَيْـنَ لِلْعُـرْبِ الأَشـاوِسِ قائـدٌ كـابنِ الوليـدِ وحُنْكـةٌ كحُبابهـا[٢]
٢٥- مِـنْ أَيْـنَ للعُـرْبِ الأماجِـد حـاكِمٌ مِثْـلَ الرَّشـيد مخاطبـاً لِرَبابهـا
٢٦- مِـنْ أَيْـنَ لِلْعَبّـاسِ عَـمَّ محمّـدٍ مُلْـكُ الـبِلاد بِتِبْرِهـا وتُرابهـا[٣]
٢٧- فِعْـلُ المُهَيْمِـنِ مـا يريـدُ بِقَـوْل كُـنْ أَسْـرِعْ بِطَـرْفِ العَـيْنِ رَجْـعَ جَوابهـا[٤]

تمّت

مكّة المكرّمة ١٤٢٤/٨/٢٥هـ

كما أوحت المعاني المرتبطة ببدء الوحي بهذه الأرْجوزة من المزدوج .

---

(١) صفاتٌ لفُرْسانٍ في الجاهليّة . العُباب : كثرة الماء والسّيل .

(٢) الحُنكة : التّجربة والدّهاء . والحُباب هو ابن المنذر الخزرجيّ الصّحابيّ ، يقال له : ذو الرّأي ، أخذ النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم برأيه يوم بدر . ونزل جبريل عليه السّلام فقال : الرّأي ما قال حُباب . توفّي نحو سنة عشرين هجرية .

(٣) المراد خلفاء الدّولة العبّاسيّة .

(٤) الطَّرف بمعنى النّظر وبمعنى جَفْنِ العين . وما أسرع رؤية العين إثر حركة الجَفْن . ولله تعالى المثل الأعلى .

القصيدة الرّابعة(٧١) بَيْتاً

في غار حِراء (من مُزْدَوَجِ الرَّجَز)

١- عـــادَ الأَمِـــينُ يَرْجُـــفُ الفُـــؤادُ مِنْـــهُ كمـــا تَمَكَّـــنَ الإِجْهـــادُ

٢- لِزَوْجِـــهِ خَدِيجَـــةَ المُطَهَّـــرَهْ والأُسْـــرةِ الكريمـــةِ المـــوقَّرَهْ

٣- أَكْرَمَـــهُ الـــرّحمنُ ذو الإِحْســـانِ بالخَمْـــسِ آياتٍ مِـــنَ القُـــرْآنِ

٤- الـــرُّوح قـــد جـــاءَ إلى حِـــراءِ إلى حَبيـــبِ اللهِ في الضَّـــحاءِ[1]

٥- في مَلْـبَسِ الشَّـيْخِ الجَميـلِ الصُّـوَرهْ والهَيْئَـــةِ الجَليلـــةِ الوَقـــورهْ

٦- فاَجَـــأهُ في مَـــوْطِنِ العِبـــادَهْ والخَلْـــوةِ العَظِيمَـــةِ السَّـــعادهْ

٧- فتـــارَةً عَشْـــرٌ مـــن اللَّيـــالي وتارةً شَـــهْرٌ علـــى الكَمـــال

٨- قـــال لَـــهُ إنّي أَنا جِبْرِيـــلُ وأنـــت يا محمّـــدُ الرَّســـولُ

٩- في قُـــوَّةٍ قـــد ضَـــمَّهُ وأَرْسَـــلَهْ كـي يُـدْرك الخَيْـرَ الّـذي قـد سِيقَ لَـهْ

١٠- قـاَلَ لَـهُ اقْـرأْ قـال مـا أُجِيـدُ فَضَـــمّهُ في قُـــوَّةٍ تَزِيـــدُ

١١- قـــالَ لَـــهُ اْقـــرأْ مـــرّةً أَخِـــيرهْ وغَطَّـــهُ في آخِـــرِ المْسِـــيرَهْ[2]

١٢- قـال لَـهُ اْقـرَأْ بِاسْـمِ رِبِّ خـالقِ لِلْعَبْـدِ مِـنْ مـاءٍ نَقـيٍّ دافِـقِ

١٣- قَـدْ نُقِشَـتْ آيُ الكِتـابِ المْنْـزَلِ في صَـدْرِ خَـيْرِ مصـطفىً ومُرْسَـلِ

١٤- وفي الطَّرِيـــق أَبْصَـــرَ الأَمينـــا وقـــد أبان سِـــرَّهُ الـــدَّفِينا

١٥- الشَّـكْلُ مِنْـهُ سَـدَّ كـلَّ ناحِيَـهْ فمـا تَـرَى لِلشَّـمْسِ أيَّ ناصِـيَهْ

١٦- وهـــذه المَسِـــيرةُ الجَليلـــهْ قـــد تَوَّجَتْهـــا لَفْتَـــةٌ جَمِيلَـــهْ

١٧- جِبْرِيـــلُ مَرْســـولٌ مِـــنَ السَّـــماءِ إلى رَســـولِ اللهِ في حِـــراءِ

١٨- هُنـا الرّسـولُ الأَشْـرَفُ الكـريمُ هُنـا النَّـبِيُّ الخـاتِمِ العَظـيمُ

١٩- مـا أَجْمَـلَ الأَقْـوالَ قـد تناغَمَـتْ وأَكْـرَمَ الأَفْعـالَ قـد تَعاَظَمَـتْ

٢٠- تَمَكَّنَ الخَـوْفُ مِنَ الحَبيبِ إنّ الّـذي تَـمَّ مِنَ العَجِيب

---

(١) الضَّحاء ، بفتح الضّاد : وقت الضُّحَى .

(٢) غَطّه : عَصَره عَصْراً شديداً .

٢١- مـــاَ أَبْعَـــد الشُّـــقّةَ بـــين الغـــارِ لِلْخـــائِفِ الماشِـــي وبـــين الـــدّارِ

٢٢- أتـــى الحبيـــبُ السَّـــفْحَ بعـــد كَـــدَّ أتـــى الحبيـــبُ الـــدّارَ بعـــد جُهْـــدِ

٢٣- طـــال انتظـــارُ الزَّوْجـــةِ الكرِيمـــهْ كُـــلُّ عَظِـــيمٍ خَلْفَـــهُ عَظِيمَـــهْ

٢٤- اِسْـــتَقْبَلَتْ خَدِيجـــةُ الوفيّـــهْ محمّـــــداً في رَحْمَـــــةٍ بَهِيَّـــــهْ

٢٥- قالـت لَـهُ قـد طـال يا ابْـنَ عَمّـي خَـــوْفِي عليـــكَ واســـتَبَدَّ هَمّـــي

٢٦- اضْـــطَرَبَ الجِسْـــمُ مـــن النَّـــبِيّ كالرَّيشَـــةِ اجْتِيحَـــتْ مِـــنَ الأَتِيّ[١]

٢٧- يقـــول لِلأَحْبـــابِ دثَّـــروني مِـــنْ أَخْمَصِـــي إلى ذُرا قُـــروني[٢]

٢٨- وبعـــد أن حَلَّـــتْ بـــه السَّـــكِينَهْ أبان مـــا في الـــنَّفْسِ مـــن دِفينـــهْ[٣]

٢٩- أَفْضَـــى إلى خديجـــةَ الحكِيمَـــهْ بالقِصَّـــةِ الفَرِيـــدَةِ اليَتِيمَـــهْ[٤]

٣٠- وقـــال إنّي مِـــنْ فَـــواتِ حِسّـــي لقـــد خَشِـــيتُ ووَفـــاةِ نَفْســـي

٣١- قالـــت لَـــهُ واللهِ يا محمّـــدُ دَوْمًـــا مـــن الـــرّحمن ســـوف تُحْمَـــدُ

٣٢- كـــلُّ النُّعُـــوتِ الفَخْمَـــةِ المجيَـــدهْ فاضَـــتْ بهـــا صِـــفاتُكَ الحَمِيـــدَهْ

٣٣- أَخْلاقُـــكَ العَظِيمَـــةُ الفَرِيَـــدهْ قـــد طَوَّقَـــتْ مِـــنَ الزَّمـــانِ جِيـــدَهْ

٣٤- أنـــت الّـــذي قـــد واصَـــلَ الأَرْحامـــا وقَـــدَّمَ الشَّـــرابَ والطَّعامـــا

٣٥- وخَـــفَّ في نَوائِـــبِ السَّـــنينا يُســـاعِدُ الضَّـــعِيفَ والمِسْـــكِينا

٣٦- ويَصْـــدُقُ الحَـــدِيثَ والوُعـــوداَ والْعَهْـــدَ والمِيثَـــاقَ والعُقـــودا

٣٧- فلـــيس لِلشَّـــيْطانِ مِـــنْ سَـــبِيلِ عليـــك يا ذا الخُلُـــقِ النَّبيـــلِ

٣٨- كـــأنَّ رَبَّ الأَرْضِ والسَّـــماءِ قـــد اصْـــطَفاكَ شـــافياَ ً لِلـــدّاءِ

٣٩- إنّـيَ لأَرْجُـو أن تَزُولَ الغُمَّهْ وأن تـــكون المُجْتَـــبَى لِلأُمَّـــهْ

---

(١) الأتيّ : السّيل يأتي من بعيد .

(٢) الأخمص : باطن القدم الّذي يتجافى من الأرض . والقرون جمع القرن وهو موضع القرن والمراد شعر الرّأس .

(٣) الدّفين : المدفون .

(٤) أفضى إلى خديجة بالقصّة : أعلمها بها .

٤٠- اِنطَلَقَتْ خديجةُ الوقورَهْ بِزَوْجِها ذي الهِمَّةِ الكَبيرَهْ
٤١- إلى ابْنِ عَمٍّ كان قد تَدَبَّرا لِسابِقِ الوَحْيِ وقد تَنَصَّرا
٤٢- كان كَبيراً طاعِناً في السِّنّ لَكنَّهُ يَقْرَأُ كُلَّ فَنّ
٤٣- وَيَنْقُلُ المَكْتُوبَ بِالعِبْرانِي إلى اللِّسانِ المُشْرقِ البَيانِ
٤٤- وكان ذا تَجْرِبَةٍ كَبِيرَهْ فإنَّهُ طالَتْ بِهِ المَسِيرَهْ
٤٥- قالت له يا عَمَّ ذا محمّدُ وابنُ أَخِيكَ فَضْلُهُ لا يُجْحَدُ
٤٦- مَرَّتْ بِه تَجْرِبةٌ كَبِيرَهْ وقِصَّةٌ مِثيرَةٌ خَطِيرَهْ
٤٧- يُرِيدُ أن يَقُصَّها عَلَيْكا ويَفْهَمَ المَغْزَى الّذي لَدَيْكا
٤٨- اِنْصَرَفَ الشَّيْخُ الكَبِيرُ الأَعْمَى بِسَمْعِهِ إلى الرَّسُولِ الأَسْمَى
٤٩- أراد أن يَفْهَمَ مِنْهُ القَوْلا وما تراءى أن يكون الهَوْلا
٥٠- وكان ذا عِلْمٍ عن الأَمِينِ قد اْرتَقَى لِمُسْتَوَى اليَقِينِ
٥١- بأنّهُ خْيرُ قُرَيْشٍ حَسَبا وخَيْرُهُمْ أَمانةً ونَسَبا
٥٢- وخَيْرُ مَنْ يَنْطِقُ قَوْلَ الفَصْلِ فليس ما يَقُولُهُ بالهَزْلِ[1]
٥٣- تَدَبَّرَ الشَّيْخُ الوَقُورُ الأَمْرا وكَبَّه وَجْهاً وأُخْرى ظَهْرا
٥٤- وقال لِلأَمِينِ في سُرورِ وفي سَكِينَةٍ وفي حُبورِ[2]
٥٥- إنّ الّذي لاقَيْتَ في حِراءِ ذاكَ أمينُ الله في السّماءِ
٥٦- مِنْ قَبْلُ قد كان رآه مُوسى وبَعْدَه كان رآهُ عيسى
٥٧- أَبْشِرْ فأنت المصطفى المُخْتارُ واصْبِر فَمَنْ في أَرْضِنا كُفَّارُ
٥٨- عمّا قَرِيبٍ أنت سوف تُهْجَرُ وكلُّ مَعْروفٍ لديك يُنْكَرُ

(١) القول الفصل : القول الحقّ . والهزل ، بسكون الزّاي : اللّعب والباطل .
(٢) الحبور : الابتهاج .

٥٩- وسوف يُقْصيكَ من الدَّيارِ كلُّ عُتُلٍّ مُعْتَدٍ جبّارِ[١]

٦٠- في لهجةِ الْمُنْكِرِ للعِداءِ رَغْمَ عَظِيمِ البَذْلِ والسَّخاءِ

٦١- قال الأَمِينْ مُكبِراً لِلدّاءِ أَمُخْرِجي مِنْ بَلْدَتي أعدائي!

٦٢- أَجابَهُ الشَّيْخُ الكبيرُ الفَهْمِ لِمَا حَوَتْ أَسْفارهُ مِنْ عِلْمِ

٦٣- بأنّ إِخْراجَ النَّبِيِّ الهادي سُنّةُ ربِّ الكَوْنِ والعِباد

٦٤- المُرْسَلونَ المُصْطَفَوْنَ البَرَرَهْ يَخْتَصُّهُمْ بالسُّوءِ كُلُّ الكَفَرَهْ

٦٥- لو أنّ ربّ العَرَش شاءَ غَيْرَهُ إذن أعادَ لِلْكَفُورِ شَرَّهُ

٦٦- أو صَرَفَ الشَّرَّ إلى الأَشْرارِ وَكُلَّ إيذاءٍ إلى الفُجّارِ

٦٧- لكِنَّهُ شاءَ لِأَنْ يُطَهِّرا قُلُوبَهُمْ وأَجْرَهُمْ يُكَثِّرا

٦٨- عاد الأمينُ مَعَه الأَمِينَهْ بالدُّرَّةِ الغالِيَةِ الثّمِينَهْ

٦٩- قد صَحَّ رَأْيُ الزّوْجَةِ الوَفِيَّهْ وما تراءى أَنَّهُ أُمْنِيَّهْ

٧٠- محمّدٌ خَيْرُ الوَرَى سَجِيّهْ وأَطْيَبُ النّاسِ الكِرامِ نِيَّهْ[٢]

٧١- قد أَكْرِمَ اللهُ به الأَنامَا فكان دِينُ المصطفى الإِسْلاما[٣]

تمّت

صبيحة يوم الجمعة ١٤٢٤/٩/٦هـ

مكّة المكرّمة

---

(١) العُتُلّ : الشّديد في كفره الفظّ الغليظ .

(٢) الوَرَى : الخَلْق . والسّجّية : الطّبيعة والخُلُق .

(٣) الأنام : جميع ما على الأرض من الخلق .

﴿ يا أيُّها المدّثّر ﴾

﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١) قُمْ فَأَنذِرْ (٢) وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ (٣) وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ (٤) وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ (٥) وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ (٦) وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ (٧)﴾

سبب النزول :

روى البخاريّ في صحيحه[١] عن جابر بن عبد الله[٢] أنّه سمع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يحدّث عن فترة الوحي[٣] فبينا أنا أمشي إذ سمعت صوتاً من السّماء ، فرفعت بصري قِبَلَ السّماء فإذا المَلَك الذي جاءني بحراء قاعدٌ على كرسيٍّ بين السّماء والأرض، فجُئِثت[٤] منه حتّى هَوَيْت إلى الأرض . فجئت أهلي فقلت : زمّلوني زمّلوني فزمَّلوني . فأنزل الله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١) قُمْ فَأَنذِرْ. . . .﴾ إلى قوله : ﴿فاهجر﴾ ثم حمي الوحي وتتابع "

والمعنى ، والله تعالى أعلم،يا أيّها المتدثّر بثيابه عند نومه[٥] المتلفّف بها عند نزول الوحي عليه[٦] والدَّثار : الثّوب الّذي يكون فوق الشَّعار[١] ، والشَّعار : ما لامس الشَّعر

---

(١) فتح الباري ٦٧٩/٨ حديث رقم ٤٩٢٦ وانظر ٦٧٨ حديث رقم ٤٩٢٥ وصحيح مسلم ١٤٣ حديث رقم ١٦١ .

(٢) زاد مسلم في صحيحه : " الأنصاريّ . وكان من أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم " انظر ترجمته في الأعلام ١٠٤/٢ .

(٣) يعني احتباسه وعدم تتابعه وتواليه في النّزول . صحيح مسلم . ١٤٣ هامش ١ .

(٤)أي فزعت ورعبت . وكذا جثت . صحيح مسلم هامش ٣ وذلك لتذكّر ما فعله في المرّة الأولى .نور اليقين ٣٤ .

(٥)تفسير الطّبري ٩٠/٢٩ .

(٦) الجلالين وانظر مفردات الرّاغب الأصفهاني : " دثر " ٢٢٠/١ والجدول في إعراب القرآن وصرفه ١١٨/١٣ .

من الثياب وولي جسد الإنسان[٢] قم يا محمّد من نومك فأنذر عذاب الله قومك الّذين أشركوا بالله وعبدوا غيره[٣] وربَّك يا محمّد فعظِّمْ بعبادته والرّغبة إليه في حاجاتك دون غيره من الآلهة والأنداد[٤] وثيابك فطهّر عن النّجاسة[٥] ونفسك من الذّنوب[٦] والأوثان دم على هجر عبادتها وترك خدمتها[٧] ولا تعط عطيّة تلتمس بها أفضل منها[٨] ولربّك فاصبر على ما لقيت فيه من المكروه[٩] .

﴿ فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ (٨) فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ (٩) عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ (١٠) ﴾

فإذا نفخ إسرافيل عليه السّلام في الصّور ، وهو القرن ، وهو شيءٌ كهيئة البوق[١٠] النفخة الثانية[١١] الّتي تُحْيِي بإرادة الله تعالى الخلائق وتزعجهم بصوتها وقرعها فذلك يومٌ شديدٌ[١٢] عسير . على الكافرين غير يسيرٍ ولا سهل . ولكنه بإذن الله تعالى يسيرٌ وسهلٌ على المؤمنين .

---

(١) المعجم الوسيط : " دثر " .

(٢) المعجم الوسيط : " شعر " ومنه قوله عليه الصّلاة والسّلام : الأنصار شعار والنّاس دثار ، الكشاف ٢٨٤/٣

(٣) تفسير الطّبري ٩١/٢٩ .

(٤) تفسير الطبري ٩١/٢٩ .

(٥) الجلالين .

(٦) الكشاف ٢٨٥/٣ ، وانظر تفسير الطّبري ٩٢/٢٩ .

(٧) تفسير الطّبري ٩٢/٢٩ وانظر فتح الباري ٦٧٩/٨ حديث رقم ٤٩٢٥ورقم٤٩٢٦ وصحيح مسلم ١٤٣ حديث رقم ١٦١ والجلالين .

(٨) تفسير الطّبري ٩٣/٢٩ .

(٩) تفسير الطّبري ٩٤/٢٩ .

(١٠) انظر تفسير الطّبري ٩٥/٢٩ ، و١٠/٢٣ ، وتفسير ابن كثير ٢٩٠/٨ .

(١١) الجلالين .

(١٢) تفسير الطبري ٩٥/٢٩ ، و٩٦ .

﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا (١١) وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَّمْدُودًا (١٢) وَبَنِينَ شُهُودًا (١٣) وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيدًا (١٤) ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ (١٥) كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا (١٦) سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا (١٧) ﴾

أُتْرُكني يا محمّد [١] وكِلْ إليّ أمر الّذي خلقته في بطن أمّه وحيداً لا شيء له من مالٍ ولا ولد[٢] وجعلت له مالاً واسعاً متّصلاً من الزّروع والضُّروع والتّجارة [٣] وبنين يشهدون المحافل[٤] ولا يغيبون ولا يسافرون في التّجارات ، فقد كُفوا كلّ ذلك ، بل يقعدون عند أبيهم يتمتّع بهم ويتملّى بهم[٥] وبسطت له في العيش بَسْطا[٦] ثمّ هو يطمع أن أزيده من كلّ ذلك الخير . كلاّ ، ليس الأمر كما يتمنّى هذا الكافر الكفور للنّعم . إنّه كان لآياتنا ولحججنا على الخلق من الكتب والرّسل معانداً للحقّ مجانباً له[٧] سأكلّفه عَقَبةً شاقّةً من العذاب لا راحة له منها[٨] .

﴿ إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ (١٨) فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (١٩) ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (٢٠) ثُمَّ نَظَرَ (٢١) ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ (٢٢) ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ (٢٣) فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ (٢٤) إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ (٢٥) ﴾

إنّ هذا الّذي خلقته وحيداً فكّر فيما أنزل الله تعالى على عبده محمّدٍ صلّى الله عليه وسلّم

---

(١) الجلالين .

(٢) تفسير الطّبري ٩٦/٢٩ .

(٣) الجلالين .

(٤) الجلالين .

(٥) تفسير ابن كثير ٢٩١/٨ .

(٦) تفسير الطّبري ٩٧/٢٩ .

(٧) تفسير الطّبري ٩٧/٢٩ .

(٨) تفسير الطّبري ٩٧/٢٩ ، والمعجم الوسيط : " صعد " .

من القرآن [١] وقدّر في نفسه ما يقوله وهيّأه[٢] فَلُعِن وعُذِّب[٣] على أيّ حالٍ كان تقديرُه[٤] ثمّ لُعِن وَعُذِّب على أي حال كان تقديره [٥] ثمّ أعاد النّظر والتّروّي[٦] ثمّ قبض ما بين عينيه[٧] وضمّ حاجبيه[٨] دليل ضيق الصّدر[٩] وزاد عُبوسه[١٠] في غير الوقت المناسب للعبوس[١١] ثم أكّد إعراض ذلك الوجه بأن أعرض عن الإيمان والتّصديق بما أنزل الله من كتابه ، واستكبر عن الإقرار بالحقّ[١٢] فقال ما هذا القرآن[١٣] إلاّ سحرٌ يُنْقل عن السَّحرة[١٤] ومنهم أهل بابل[١٥] ما هذا الّذي يتلوه محمّد إلاّ كلام ابن آدم ، وما هو بكلام الله[١٦] : ﴿ مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِءَابَآئِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴾[١٧].

---

(١) تفسير الطّبري ٩٨/٢٩ .

(٢) الكشاف ٢٨٧/٣ .

(٣) الجلالين .

(٤) الجلالين .

(٥) انظر الجلالين .

(٦) انظر تفسير الطبري ٩٨/٢٩ وتفسير ابن كثير ٢٩٢/٨ .

(٧) تفسير الطبري ٩٨/٢٩ .

(٨) المعجم الوسيط : " قطب " .

(٩) مفردات الرّاغب الأصفهاني : " عبس " ٤١٦/٢ .

(١٠) المعجم الوسيط : "كلح " .

(١١) انظر مفردات الرّاغب الأصفهاني : " بسر " ٥٨/١ .

(١٢) تفسير الطّبري ٩٩/٢٩ .

(١٣) الجلالين والجدول في إعراب القرآن وصرفه ١٢١/١٣ .

(١٤) الجلالين .

(١٥) الكشّاف ٢٨٧/٣ .

(١٦) تفسير الطّبري ٩٩/٢٩ .

(١٧) سورة الكهف ٥ .

﴿ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ (٢٦) وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ (٢٧) لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ (٢٨) لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ (٢٩) عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ (٣٠) وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا كَذَٰلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ (٣١) كَلَّا وَالْقَمَرِ (٣٢) وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ (٣٣) وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ (٣٤) إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِ (٣٥) نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ (٣٦) لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ (٣٧) ﴾

سأدخله[١] جهنّم ،وسأغمره فيها من جميع جهاته[٢] وما أدراك يا محمّد ما نار جهنّم وأيّ شيءٍ سَقر[٣] هي نارٌ لا تُبْقي من فيها حيًّا ولا تذر من فيها ميّتاً ، ولكنّها تحرقهم كلّما جدّد خلقهم[٤] مغيّرةٌ لبشر أهلها[٥] ومُحْرقةٌ لظاهر الجلد[٦] والبشر : جمع بَشرة[٧] على جهنّم تسعة عشر مَلَكاً من الخَزَنةِ[٨] وما جعلنا زبانية جهنّم إلاّ ملائكةً

(١) الجلالين .

(٢) تفسير ابن كثير ٢٩٣/٨ .

(٣) انظر تفسير الطّبري ٩٩/٢٩ .

(٤) تفسير الطّبري ٩٩/٢٩ .

(٥) تفسير الطّبري ٩٩/٢٩ .

(٦) الجلالين .

(٧) المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطيّة ١٦١/١٦ .

(٨) انظر تفسير الطّبري ١٠٠/٢٩ والجلالين .

غِلاظاً شِدادا . عظيمٌ خَلْقُهُم غَلِيظٌ خُلُقهم[١] وما جعلنا عِدَّتهم تسعة عشر ملَكاً وليس عشرين مثلاً ، إلاّ فتنةً وضلالاً [٢] للّذين كفروا بالله من مشركي قريش[٣] حتّى إنّ أبا جهلٍ قال لقريش فيما يُرْوَى : أَيَعْجِزُ كلّ عشرةٍ منكم أن يبطشوا برجلٍ من خزنة جهنّم[٤] جَعَلْنا عِدَّتهم تسعة عشر ليستيقن الّذين أوتوا الكتاب من اليهود والنّصارى أنّ هذا القرآن الكريم من عند الله تعالى . قال ابن عباس : إنّها في التّوراة والإنجيل تسعة عشر[٥] ويزداد الّذين آمنوا بمحمّد صلّى الله عليه وسلّم إيماناً بأنّ محمّداً رسول الله تعالى ، وبأنّ الكتب السّماويّة كلّها موحًى بها من عند الله تعالى[٦] ولا يشكّ أهل التّوراة والإنجيل في حقيقة ذلك ، والمؤمنون بالله من أمّة محمّد صلّى الله عليه وسلّم[٧] . ولِيَقُول الّذين في قلوبهم مرض النّفاق [٨] والكافرون بالله من مشركي قريش[٩] أيّ شيءٍ أراد الله بهذا العدد العجيب ، وأي غرضٍ قصد في أن جعل الملائكة تسعة عشر لا عشرين سواءً . ومرادهم إنكاره من أصله وأنّه ليس من عند الله وأنّه لو كان من عند الله لما جاء بهذا العدد النّاقص[١٠] فإن قلت : لِمَ سمَّوْه مثلاً ؟ قلت : هو استعارةٌ من المثل المضروب ، لأنّه ممّا غَرُب من الكلام وبَدُع ، استغراباً منهم لهذا العدد واستبداعاً له[١١] في مثل إضلال الله تعالى منكر هذا العدد وهَدْي مصدّقه[١٢] يضلّ الله من يشاء من خلقه فَيَخْذُلُه عن إصابة

---

(١) تفسير ابن كثير ٢٩٣/٨ .

(٢) الجلالين .

(٣) تفسير الطّبري ١٠١/٢٩ .

(٤) انظر تفسير الطّبري ١٠٠/٢٩ .

(٥) تفسير الطّبري ١٠١/٢٩ .

(٦) انظر تفسير الطّبري ٢٩/ ١٠١ .

(٧) تفسير الطَّبري ١٠١/٢٩ .

(٨) تفسير الطّبري ١٠١/٢٩ .

(٩) تفسير الطّبري ١٠١/٢٩ .

(١٠) الكشّاف ٢٨٩/٣ .

(١١) الكشاف ٢٨٩/٣ .

(١٢) الجلالين .

الحقّ .ويَهْدِي من يشاء منهم فيوفّقه لإصابة الصواب[١] وما يعلم جنود ربّك يا محمّد ويا أيّها الإنسان من كثرتهم[٢] إلاّ هو عزّ وجلّ وحده دون سواه . وما النّار الّتي وصفتها[٣] إلاّ تذكرة ذكّر بها بنو آدم[٤]

كلاّ ، ليس القول كما يقول من زعم أنّه يكفي أصحابه المشركين خزنة جهنّم حتّى يجهضهم عنها[٥] ويغلبهم عليها وينحّيَهُمْ عنها[٦] والقمر المنير ، واللّيل إذ مضى وانقضى وولّى ذاهباً[٧] والصّبح إذا أضاء[٨] وأشرق[٩] إنَّ جهنّم لإحدى الأمور العظام[١٠] والبلايا[١١] الضّخام . والكُبر جمع الكبرى . والكبرى تأنيث الأكبر[١٢] نذيراً لبني آدم[١٣] لمن شاء منكم أيّها النّاس أن يتقدّم في طاعة الله أو يتأخّر في معصيته[١٤] أن يتقدم إلى الخير أو إلى الجنّة بالإيمان ، أو يتأخر إلى الشّرّ أو النّار بالكفر[١٥] .

---

(١) تفسير الطّبري ١٠٢/٢٩ .
(٢) تفسير الطّبري ١٠٢/٢٩ والكشّاف ٢٨٩/٣ .
(٣) تفسير الطّبري ١٠٢/٢٩ .
(٤) تفسير الطّبري ١٠٢/٢٩ .
(٥) تفسير الطّبري ١٠٢/٢٩ .
(٦) المعجم الوسيط : " جهض " .
(٧) تفسير الطّبري ١٠٢/٢٩ .
(٨) تفسير الطّبري ١٠٢/٢٩ .
(٩) تفسير ابن كثير ٢٩٧/٨ .
(١٠) تفسير الطّبري ١٠٢/٢٩ .
(١١) الجلالين .
(١٢) لسان العرب : " كبر " .
(١٣) تفسير الطّبري ١٠٣/٢٩ .
(١٤) تفسير الطّبري ١٠٣/٢٩ .
(١٥) الجلالين .

﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ (٣٨) إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ (٣٩) فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءلُونَ (٤٠) عَنِ الْمُجْرِمِينَ (٤١) مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ (٤٢) قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ (٤٣) وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ (٤٤) وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ (٤٥) وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ (٤٦) حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ (٤٧) فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ (٤٨)﴾

كلّ نفس مأمورةٍ منهيّةٍ ، بما عملت من معصية الله في الدّنيا[١] مرهونةٌ مأخوذةٌ بعملها إلى النّار[٢] ومعتقلةٌ به[٣] ومحبوسة[٤] إلاّ أصحاب اليمين لا يرتهنون بذنوبهم ولكن يغفرها الله لهم[٥] وكأنّهم فكّوا عنه رقابهم بما أطابوه من كسبهم[٦] وأصلحوا من عملهم . إنّهم في جنّات النّعيم يتساءلون بينهم[٧] ما أدخلكم في جهنّم[٨] وأوصلكم إلى أعماق النّار ؟ قالوا : لم نكن من المصلّين لله تعالى في الدّنيا . ولم نكن نطعم المسكين ، أو نعطى الزّكاة مستحقّيها ، والصّدقة أصحابها . وكنّا نخوض في الباطل وفيما يكرهه الله مع من يخوض فيه[٩] وكنّا نكذب بيوم الجزاء والحساب . حتّى أتانا الموت الموقن به[١٠] فما تنفعهم

(١) تفسير الطبّري ٢٩/١٠٣ .

(٢) الجلالين .

(٣) تفسير ابن كثير ٨/٢٩٨ .

(٤) انظر مفردات الرّاغب الأصفهاني : " رهن " ١/٢٧٠ . والجدول في إعراب القرآن وصرفه ١٣/١٢٨ .

(٥) تفسير الطّبري ٢٩/١٠٤ .

(٦) الكشّاف ٣/٢٩٠ .

(٧) الجلالين .

(٨) الجلالين .

(٩) تفسير الطّبري ٢٩/١٠٤ .

(١٠) تفسير الطّبري ٢٩/١٠٥ .

شفاعة الشّافعين ، ولا يشفع لهم الّذين شفّعهم الله في أهل الذّنوب من أهل التّوحيد[1] .

﴿ فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ (٤٩) كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ (٥٠) فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ (٥١) بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً (٥٢) كَلَّا بَل لَّا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ (٥٣) كَلَّا إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ (٥٤) فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ (٥٥) وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَىٰ وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ (٥٦) ﴾

فما لهؤلاء المشركين عن تذكرة الله إيّاهم بهذا القرآن معرضين لا يستمعون لها فيتّعظوا ويعتبروا [2] كأنهم حُمُرٌ وحشيّةٌ [3] نافرة [4] فرّت من أسد [5]وهو أكبر أعدائها ، يطاردها ، ويجد في قتلها وأكلها كبير متعة ، وعظيم لذّة، وهي تفرّ منه بطبعها، وتبغضه بغريزتها .

بل يريد كلّ رجل من كفّار قريش أن يؤتى كتاباً من السّماء ينزل عليه [6] يؤمر فيه باتّباع محمّد صلّى الله عليه وسلّم ، وهي صُحُفٌ غضّة رَطْبة لم تُطْوَ بعد [7] .

كلاّ ، ما الأمر كما يزعمون من أنّهم لو أوتوا صحفاً منشّرةً صدّقوا ، لكنّهم لا يخافون عقاب الله ، ولا يصدّقون بالبعث والثّواب والعقاب ، فذلك الّذي دعاهم إلى الإعراض عن تذكرة الله ، وهَوَّنَ عليهم ترك الاستماع لوحيه وتنزيله [8] .

---

(١) تفسير الطّبري ١٠٥/٢٩ .

(٢) تفسير الطّبري ١٠٥/٢٩ .

(٣) الجلالين وتفسر ابن كثير ٢٩٨/٨ والكشاف ٢٩١/٣ .

(٤) مفردات الرّاغب الأصفهاني : " نفر " ٦٤٨/٢ . والكشاف ٢٩١/٣ .

(٥) تفسير الطّبري ١٠٦/٢٩ والجلالين وتفسير ابن كثير ٢٩٨/٨ .

(٦) تفسير الطّبري ١٠٧/٢٩ ، والمحرّر الوجيز ١٦٨/١٦ .

(٧) انظر تفسير الطّبري ١٠٧/٢٩ والكشاف ٢٩١/٣ والمحرّر الوجيز ١٦٨/١٦ .

(٨) تفسير الطّبري ١٠٧/٢٩ .

كلاَّ ، ليس الأمر كما يقول هؤلاء المشركون في هذا القرآن من أنّه سحرٌ يؤثر ، وأنّه قول البشر ، ولكنّه تذكرةٌ من الله لخلقه ذكّرهم به [١] فمن شاء ذكر هذا القرآن وتلاه بلسانه ، وفَهِمَه بوعيه ، وعمل بهديه . وما يذكرون هذا القرآن فَيتّعظون به ويستعملون ما فيه [٢] ويهتدون بهديه ، إلاّ أن يشاء الله تعالى بكلّ ذلك أو بشيء من ذلك. إنّ ما شاء الله تعالى كان ، وما لم يشأ لم يكن . وإنّ الله تعالى هو الأهل لأن يُتّقى عقابه [٣] ومحارمه [٤] والأهل لأن يغفر الذّنوب [٥] ويستر العيوب ، ويقبل التّوبة عن عباده ، ويعفو عن السّيّئات ، سبحانه ، لأرادّ لقضائه ، ولا معقّب لحكمه .

وقد أوحت هذه المعاني المرتبطة بفترة الوَحْيِ وتأخّره بالقصيدة التّالية .

---

(١) تفسير الطّبري ١٠٧/٢٩ .

(٢) تفسير الطّبري ١٠٨/٢٩ .

(٣) تفسير الطّبري ١٠٨/٢٩ ، وتفسير ابن كثير ١٩٩/٨ .

(٤) تفسير الطّبري ١٠٨/٢٩ .

(٥) تفسير الطّبري ١٠٨/٢٩ والجلالين .

القصيدة الخامسة(٢٨) بيتاً

فترة الوحي (من الوافر)

١- أَمِـــينُ اللهِ جـــاءَ إلى الْحَبِيـــبِ بِـــوَحْيِ اللهِ فِي الـــزَّمَنِ القَريـــبِ[١]

٢- فمـــا بالُ الأَمِـــينِ يَـــزُورُ غِبًّـــا ولـــيس يَجِـــيءُ بالـــوحْيِ القَشِـــيب[٢]

٣- وقَلْـــبُ محمّـــدٍ أَضْـــناهُ شَـــوْقٌ لِـــوَحْيِ اللهِ يُشْـــرِقُ فِي القُلُـــوب[٣]

٤- وجِبْرِيـــلُ الأَمِـــينُ أَتَـــى بِوَقْـــتٍ قَـــدِ اشْـــتَدَّتْ بِـــهِ كُـــرَبُ الحبيـــب[٤]

٥- وبَشَّـــــــرَهُ بأنّ الفَجْـــــــرَ آتٍ شُـــروقُ الشَّـــمْسِ مِـــنْ بعـــد الغـــروب

٦- ألـــيس محمّـــدٌ خَيْـــرَ الـــبَرايا ونُـــورَ الحَـــقِّ فِي الكـــونِ الرَّحيـــب

٧- محمّـــدٌ الرّســـولُ قَـــدِ اصْـــطَفاهُ إلـــهُ العَـــرْشِ عَـــلاّمُ الغُيـــوب

٨- وأَكْرَمَـــــــهُ بآيٍ باهِـــــــراتٍ هـــي القَطَـــراتُ مِـــنْ غَيْـــثٍ صَـــبيب[٥]

٩- ونَفْـــسُ محمّـــدٍ تاقَـــتْ لِفَـــيْضٍ مـــــن الآياتِ تَغْمُرُهـــــا بطِيـــــب

١٠- هـــي الـــنَّفْسُ الكَبِـــيرَةُ لِلْمعـــالي تَجِـــــدُّ ولا تُبـــــالِي بالعَصـــــيب[٦]

١١- وهـــل نَفْـــسٌ سَمَـــتْ يومـــاً كَـــنَفْسٍ لِأَحْمَـــدَ صـــاحِبِ القَلْـــبِ الْمُنِيـــب

١٢- زَعِـــيمُ أولى العَزِيـــمَة مِـــنْ كِـــرامٍ لهـــم مـــن صَـــبْرِهِمْ أَوْفَى نَصِـــيب[٧]

---

(١) أي جاء بالآيات الكريمات الخمس الأُول من سورة العَلَق .

(٢) يزور غبّا : فترةً بعد فترةٍ وليس باستمرار . والقشيب : الجديد . وكان جبريل عليه السّلام يزور النّبيّ صلّى اللهٍ عليه وسلّم لتطمينه دون أن يكون معه قرآنٌ كريمٌ موحيً به .

(٣) أضناه : عانى منه وقاسى .

(٤) الكُرَب ، بضمّ الكاف وفتح الرّاء ،جمع الكُرْبة ، بضم الكاف وسكون الرّاء بمعنى الكَرْب ، بفتح الكاف وسكون الرّاء ، والحزن والغمّ يأخذ بالنّفْس .

(٥) الصّبيب : ما ينصبّ وينسكب .

(٦) العصيب : الشّديد .

(٧) أولو العزم من الرّسل خمسة وهم نوحٌ وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمّدٌ صلوات الله تعالى وسلامه عليهم أجمعين وقد اصطفاهم الله تعالى بالصّبر الفائق .

١٣- أليس الحقُّ يَعْلَمُ مصطفاهُ و مَنْ يَقْوَى على قَرْعِ الخُطوب [١]

١٤- ومَنْ قد خَصَّهُ بِمَزيدِ فَضْلٍ وليس لِفَضْلِ رَبّك مِنْ ضَريب[٢]

١٥- وَعَنْ عِلْمِ الهُدَى والحِلْم حَدِّثْ وَسَلْ عن جُودِهِ رِيحَ الجَنُوب[٣]

١٦- وعن وَصْلِ القَرابةِ حَدَّثَتْنا خديجةُ إنّها عَيْنُ الرَّقيب

١٧- وما اقْتَصَرَ الحنانُ على قَريبٍ ولكن قد تَعَدَّى للغريب

١٨- تبارك من حَباكَ كَمالَ خَلْقٍ وأخلاقٍ تَزيدُ على الطُّيوب[٤]

١٩- لِزَوْجتِكَ العظيمةِ كُلُّ حقٍّ تَراك رسولَ فَرّاج الكُروب

٢٠- أتى جبريلُ يَمْلَأُ كلَّ أُفْقٍ على كُرْسِيِّهِ الضَّخْمِ المَهيب[٥]

٢١- إلهُ العَرْشِ أدركَ قَلْبَ طَهَ فما انْصَدَعَ الفُؤادُ من الوَجيب[٦]

٢٢- ولا زَاغَتْ من المُخْتارِ عَيْنٌ ولا ابتعد الوقارُ عن اللّبيب

٢٣- أَمِينُ اللهِ قِدْماً قد أتاهُ بِشُؤبوبٍ من الوَحْي الرَّطِيب[٧]

٢٤- كأنَّ مَجِيئَهُ ذا اليومَ يَعْني مجيءَ الوَحْيِ من بعد المْغَيب

---

(١) قرع الخطوب : مقارعة الخطوب والشّدائد . والمفرد : خَطْب .

(٢) الضّريب : المثيل والنّظير .

(٣) قال الأصمعيّ : إذا جاءت الجنوب جاء معها خيرٌ وتلقيح .

(٤) الخَلْق ، بفتح الخاء وسكون اللّام : الصّورة الظّاهرة . والخُلُق ، بضّم الخاء ، وبضمّ اللّام وسكونها : الدّين والطبع والسّجيّة ، والجمع أخلاق . وحقيقة الخُلُق أنّه لِصورة الإنسان الباطنة وهي نفسه وأوصافها ومعانيها المختصّة بها بمنزلة الخَلْق لصورته الظاهرة وأوصافها ومعانيها . ولهما أوصافٌ حسنة وقبيحة . والطّيوب جمع الطّيب.

(٥) الأفق بسكون الفاء وضمّها : خطٌّ دائريّ يرى فيه المشاهد السّماء كأنّها ملتقيةٌ بالأرض ، ويبدو متعرّجاً على اليابس ، ومكوّناً دائرةً كاملةً على الماء .

(٦) انصدع : انشق . ووجيب القلب : شِدّة خفقانه .

(٧) قِدْماً : في الزّمن القديم . والشّؤبوب الدّفعة من المطر وغيره . والرّطيب : الغَضّ الطّريّ .

٢٥-طَـــلائعُ غَيْثِـــهِ قَطَـــراتُ آيٍ بإذْنِ اللهِ صِـــــرْنَ إلى سُـــــكوب[١]

٢٦- ألا يا مَـــــنْ تَلَفَّـــــفَ في دِثارٍ وأَمْضَـى اليـومَ في النَّـوْم الرَّتيـب[٢]

٢٧- ألا قُـــــمْ ثمّ أَنْـــذِرْ ثمّ كَبّـــــرْ ودُمْ في هَجْـرِ أنْصـابِ الكَـذوب[٣]

٢٨- وبَشِّـــرْ بالنّعـــيمِ دُعـــاةَ بِـــرّ وأَنْـــذِرْ كُـــلَّ أَصْـــحاب الـــذُّنوب

تمّت

صبيحة يوم الثّلاثاء

مكّة المكرّمة ١٤٢٤/٩/١٧هـ

(١) سكوب الماء بضمّ السّين : انسكابه وانصبابه وسَيَلانه ، فهو ماءٌ سَكوب ، بفتح السّين .

(٢) إشارةٌ إلى نزول سورة المدّثّر ، بمعنى المتدثّر في ثيابه والمتلّفف في دِثاره . والدّثار : الغِطاء والثّوب الّذي يكون فوق الشّعِار . والشّعار : الثّوب الّذي يلامس شعر الجسد . والرّتيب : الدّائم الثّابت .

(٣) الأنصاب جمع النَّصْب والنُّصْب وهو ما نُصِب وعُبِد من دون الله تعالى . والكذوب : الكذّاب ، والمراد الشيطان الرّجيم لعنه الله تعالى .

﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ ﴾

جاء في موضعين اثنين في القرآن الكريم الحديثُ عن استماع الجنّ للنّبيّ صلّى الله عليه وسلّم يُرَتّل القرآن الكريم ترتيلاً . وهذان الموضعان ، بحَسَب ترتيب سور القرآن الكريم في النّزول في سورتي الجِنّ والأحقاف المكّيّتين[1] وهذا هو الموضع الأوّل .

سورة الجن

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا (١) يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا (٢) وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا (٣) وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا (٤) وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن تَقُولَ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا (٥) وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا (٦) وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا (٧) وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا (٨) وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا (٩) وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا (١٠) وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا (١١) وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن نُّعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُ هَرَبًا (١٢) وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَىٰ آمَنَّا بِهِ فَمَن يُؤْمِن بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا (١٣) وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَٰئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا (١٤) وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ

---

(١) الإتقان ١/٤٢ و ٤٣ .

حَطَبًا (١٥) وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا (١٦) لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا (١٧) وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا (١٨) وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا (١٩) قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا (٢٠) قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا (٢١) قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا (٢٢) إِلَّا بَلَاغًا مِّنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا (٢٣) حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا (٢٤) قُلْ إِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا (٢٥) عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا (٢٦) إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا (٢٧) لِيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا (٢٨) ﴾

سبب النّزول :

روى البخاريّ في صحيحه[١] عن ابن عبّاسٍ قال : انطلق رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في طائفةٍ من أصحابه عامدين[٢] إلى سوق عكاظ[٣] وقد حيل[٤] بين الشياطين وبين خبر

---

(١) فتح الباري ٦٦٩/٨ حديث رقم ٤٩٢١ وانظر صحيح مسلم ٣٣١ حديث رقم ٤٤٩ .

(٢) عامدين : قاصدين . فتح ٦٧٠/٨ .

(٣) سوق عكاظ : هو موسمٌ معروفٌ للعرب ، بل كان من أعظم مواسمهم. وهو نخلٌ في وادٍ بين مكة والطّائف ، وهو إلى الطائف أقرب بينهما عشرة أميال . وهو وراء قرن المنازل بمرحلة من طريق صنعاء اليمن ولم تزل سوقاً إلى سنة تسع وعشرين ومائة . فتح ٦٧١/٨ .

(٤) وقد حيل : أي حُجِز ومُنِع على البناء للمجهول . فتح ٦٧١/٨ .

السّماء [1] وأُرْسِلَتْ عليهم الشّهب . فرجَعت الشّياطين فقالوا : ما لكم ؟ فقالوا : حيل بيننا وبين خبر السّماء وأُرْسِلَتْ علينا الشُّهُب . قال[2] ما حال بينكم وبين خبر السّماء إلاّ ما حدث ، فاضربوا مشارِق الأرض ومغارِبَها فانظروا ما هذا الأمر الّذي حدث ؟ فانطلقوا فضربوا مشارق الأرض ومغاربها ينظرون ما هذا الأمر الّذي حال بينهم وبين خبر السّماء ؟ قال : فانطلق الّذين توجّهوا نحو تِهامة إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بنخلة[3] وهو عامدٌ إلى سوق عكاظ وهو يصّلي بأصحابه صلاة الفجر. فلمّا سمعوا القرآن تسمَّعُوا له فقالوا : هذا الّذي حال بينكم وبين خَبَر السّماء . فهنالك رجعوا إلى قومهم فقالوا : يا قَوْمَنا ، إنّا سمعنا قرآناً عجباً يهدي إلى الرُّشد فآمنا به ولن نشرك بِرَبّنا أحداً . وأنزل الله عزّ وجلّ على نبيه صلّى الله عليه وسلّم : ﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ ﴾ وإنما أوحي إليه قول الجنّ .

والمعنى ، والله تعالى أعلم ، قل يا محمّد قد أَوْحَي اللهُ تعالى إليّ أنّه استمع نفرٌ من الجنّ هذا القرآن[4] ورهط بين الثّلاثة إلى العشرة[5] فقالوا لقومهم لمّا رجعوا إليهم[6] إنّا سمعنا قرآناً يُتعَجَّب منه ولم يُعْهَدْ مِثْلهُ [7] في فصاحته وغزارة معانيه[8] يهدي إلى الرُّشد والسَّداد

---

(١) عن ابن عباس قال : كانت الجن تصعد إلى السّماء الدّنيا يستمعون الوحي ، فإذا سمعوا الكلمة زادوا فيها أضعافاً . فالكلمة تكون حقّاً وأمّا ما زادوا فيكون باطلاً . فلمّا بُعث النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم مُنعوا مقاعدهم . ولم يكن النّجومُ يُرمْى بها قبل ذلك . فتح ٦٧١/٨ وقال السّهيليّ : لم يزل القذف بالنّجوم قديماً وهو موجودٌ في أشعار قدماء الجاهلية كأوس بن حجر وبشر بن أبي خازم وغيرهما . فتح ٦٧٢/٨ وانظر تفسير الطبري ٢٠/٢٦.

(٢) قال : إبليس . فتح ٦٧٤/٨ .

(٣) موضع بين مكّة والطّائف . فتح ٦٧٤/٨ .

(٤) تفسير الطّبري ٦٤/٢٩ .

(٥) المعجم الوسيط : " رهط " و : " نفر " وانظر لسان العرب : " نفر " .

(٦) الجلالين .

(٧) انظر مفردات الرّاغب الأصفهاني : " عجب " ٤١٨/٢ .

(٨) الجلالين .

والنّجاح[١] ويَدُلُّ على الحقّ وسبيلِ الصّواب[٢] فآمنّا به ، ولن نُشْرِك بِرَبّنا عزّ وجَلّ أحداً بعد أن هدانا الله تعالى . وأنّه تعالى جلالُ الله عزّ وجلَّ وعظمتُهُ وأمرُه [٣] ما اتَّخَذَ زوجةً[٤] ولا ولداً لأنّه الغنيّ عن خلقه . وأنّه كان يقول جاهلنا[٥] غلوّاً في الكذب بوصفه بالصّاحبة والولد[٦] وأنّا ظننّا وحَسِبْنا[٧] أن لن تقول الإنس والجنّ على الله كذباً، ولكنّ الحقيقة غيرُ ذلك . وأنّه كان رجالٌ من الإنس يعوذون في أسفارهم برجالٍ من الجنّ إذا نزلوا منازلهم[٨] قال ابن عبّاس: كان رجالٌ من الإنس يبيت أحدهم بالوادي في الجاهليّة فيقول : أعوذ بعزيز هذا الوادي [٩] وبعظيم هذا المكان من الجانّ[١٠] من شرّ سفهائه[١١] فزادوهم طغياناً فقالوا سُدْنا الجنّ والإنس [١٢] وجراءة [١٣] وأنّهم ظنوا كما ظننتم يا مشركي الإنس أنّ الله تعالى لن يبعث أحداً من رسله يدعو الخلق إلى توحيده عزّ وجلّ[١٤] وأنّا طلبنا السّماء وأردناها[١٥] فوجدناها مُلِئَتْ حَرَساً شديداً ، وحَفَظَةً[١٦] من الملائكة[١٧] وشهباً ونجوماً

---

(١) تفسير ابن كثير ٢٦٥/٨ .

(٢) تفسير الطّبري ٦٤/٢٩ .

(٣) تفسير الطّبري ٦٥/٢٩ .

(٤) الجلالين .

(٥) الجلالين .

(٦) الجلالين .

(٧) تفسير الطّبري ٦٧/٢٩ .

(٨) تفسير الطبري ٦٨/٢٩ .

(٩) تفسير الطبري ٦٨/٢٩ .

(١٠) تفسير ابن كثير ٢٦٦/٨ .

(١١) الجلالين .

(١٢) الجلالين .

(١٣) تفسير الطّبري ٦٨/٢٩ وتفسير ابن كثير ٢٦٦/٨ .

(١٤) انظر تفسير الطّبري ٦٩/٢٩ .

(١٥) تفسير الطبري ٦٩/٢٩ .

(١٦) تفسير الطّبري ٦٩/٢٩ .

(١٧) الجلالين .

محرقةً، وذلك لمّا بُعِث النّبيّ محمّد صلّى الله عليه وسلم[١] وأنّا كنّا نقعد من السّماء مقاعد لاستراق السّمع جَرْياَ ً على عادتنا ، فمن يستمع الآن مِنّا يَجِدْ شهاب نارٍ قد رُصِدَ له يُرْمَى به[٢] وأنّا لا ندري أعذاباً أراد الله أن ينزله بأهل الأرض بمنعه إيّانا من السّمع من السّماء ورجمِهِ مَنِ استمع مِنّا فيها بالشّهب ، أم أراد بهم ربّهم الهدى بأن يبعث منهم رسولاً مرشداً يرشدهم إلى الحقّ[٣] وهذا من أدبهم في العبارة حيث أسندوا الشّرّ إلى غير فاعل ، والخير أضافوه إلى الله عزّ وجلّ[٤] وأنّا بعد استماع القرآن[٥] مِنّا المسلمون الصّالحون العاملون بطاعة الله[٦] ومنّا غير الصّالحين[٧] كنّا مذاهب مختلفة ، وطرائق متعدّدة ، ومشارب متنّوعة [٨] وأنّا علمنا[٩] أن لن نُعْجِزَ الله تعالى ولن نعجزه عزّ وجلّ هرباً في أقطار السّماوات[١٠] وأنّا لمّا سمعنا القرآن الكريم الّذي يهدي إلى الطّريق المستقيم صَدَّقْنا به ، وأَقْرَرْنا أنّه حقٌّ من عند الله[١١] فمن يؤمن بربّه عزّ وجلّ فلا يخاف نقصاَ من حسناته[١٢] ولا زيادة في سيئاته [١٣] وأنّا مِنَّا المسلمون الّذين قد خضعوا لله بالطّاعة [١٤]

---

(١) تفسير الطبري ٦٩/٢٩ والجلالين .

(٢) تفسير الطّبري ٦٩/٢٩ والجلالين .

(٣) تفسر الطّبري ٧٠/٢٩ .

(٤) تفسير ابن كثير ٢٦٧/٨ .

(٥) الجلالين .

(٦) تفسير الطّبري ٧٠/٢٩ .

(٧) تفسير الطّبري ٧٠/٢٩ ، والجلالين .

(٨) انظر تفسير الطّبري ٧٠/٢٩ وتفسير ابن كثير ٢٦٨/٨ ومفردات الرّاغب الأصفهاني " قدر " ٥١٠/٢

(٩) تفسير الطّبري ٧١/٢٩ .

(١٠) انظر الجلالين .

(١١) تفسير الطّبري ٧١/٢٩

(١٢)تفسير الطّبري ٧١/٢٩

(١٣)تفسير الطّبري ٧١/٢٩

(١٤)تفسير الطّبري ٧١/٢٩

ومنّا القاسطون الجائرون عن الإسلام وقَصْدِ السَّبيل [١] فمن أسلم وخضع لله بالطّاعة فأولئك تعمّدُوا وتَرَجَّوْا رَشَداً في دينهم[٢] وهداية[٣] وأمّا الجائرون عن قصد السّبيل فكانوا حطباً لجهنّم تُوقَدُ بِهِم [٤].

وكذلك أوحى الله تعالى إليَّ أن النّاس لو استقاموا على طريقة الحقّ[٥] والإسلام[٦] لأسقيناهم ماءً كثيراً[٧] طاهراً [٨] لنختبرهم فيه[٩] ولنبتليهم به[١٠] قال عمر رضي الله عنه في الآية الكريمة والآية الكريمة قبلها : أينما كان الماء كان المال ، وأينما كان المال كانت الفتنة [١١] ومن يُعْرِض عن ذكر ربّه عزّ وجلّ وعن القرآن الكريم يدخله[١٢] جلّ وعلا عذاباً شديداً شاقّاً [١٣] وأنّ المساجد لله تعالى وحده دون سواه فلا تعبدوا مع الله تعالى أحداً سواه . وأنّه لمّا قام محمّد صلّى الله عليه وسلم[١٤] عبد الله ورسوله ، يدعو الله ويقول : لا إله إلاّ الله [١٥] ويرتّل القرآن الكريم ترتيلاً في صلاة الفجر الجهريّة بوادي نخلة كاد الجنّ يركبون رسول الله صلى الله عليه وسلّم لمّا سمعوا القرآن[١٦] ويكونون لاجتماعهم عليه

---

(١)تفسير الطّبري ٧١/٢٩

(٢)تفسير الطّبري ٧١/٢٩

(٣) الجلالين .

(٤)تفسير الطّبري ٧١/٢٩

(٥)تفسير الطّبري ٧١/٢٩

(٦) الجلالين .

(٧) تفسير ابن كثير ٢٦٩/٨

(٨)تفسير الطّبري ٧٢/٢٩

(٩)تفسير الطّبري ٧١/٢٩

(١٠)تفسير الطّبري ٧٢/٢٩

(١١) تفسير الطّبري ٧٢/٢٩ .

(١٢) الجلالين .

(١٣) تفسير الطّبري ٧٣/٢٩ .

(١٤) تفسير الطبري ٧٣/٢٩ .

(١٥) تفسير الطّبري ٧٣/٢٩ .

(١٦) تفسير الطّبري ٧٤/٢٩ .

كالشَّعْر الكثيف الّذي دخل بعضه في بعض وركب بعضه بعضاً حِرْصاً على استماع القرآن الكريم [١] . قل يا محمّد إنّما أدعو ربي جلّ وعلا وحده دون سواه ولا أشرك به أحداً . قل يا محمّد لمشركي العرب الّذين أعرضوا عنك وصدّوا عن سبيل الله تعالى : إنّي لا أملك لكم ضَرّاً في دينكم ولا في دنياكم ، ولا رشداً أرشدكم لأنّ الّذي يملك ذلك الله تعالى الّذي له ملك كلّ شيء[٢] قل يا محمّد إنّي لن يجيرني من الله تعالى أحدٌ من خَلْقِه إن أراد بي أمراً ولا ينصرني منه ناصر[٣] ولن أجد من دونه ملتجأً[٤] ولا نصيرا[٥] ولا ملجأً ألجأ إليه[٦] .

قل إنّي لا أملك لكم إلاّ أن أبلغكم من الله ما أمرني بتبليغكم إيّاه ، وإلاّ رسالاته التي أرسلني بها إليكم . فأمّا الرَّشَد والخِذْلان فَبِيَدِ الله تعالى وَحْدَهُ دون سواه[٧] ومن يعص الله تعالى ورسوله محمّداً صلّى الله عليه وسلّم فإنّ له نار جهنّم خالدين فيها أبداًَ . حتّى إذا رأوا يوم القيامة ما كانوا يوعدون في الدنيا فسيعلمون من الأضعف ناصراً والأقلّ عدداً . قل يا محمّد ما أدري[٨] أقريبٌ ما يعدكم ربّكم من العذاب وقيام السّاعة [٩] أم يجعل له ربّي عزّ وجلّ غايةً معلومةً تَطولُ مدّتها[١٠] إنّه جلّ وعلا عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً . إلاّ من ارتضى من رسولٍ مَلَكيّ أو بشريّ [١١] فإنّه جلّ وعلا يجعل من أمامه ومن

---

(١) انظر مفردات الرّاغب الأصفهاني : " لبد " ٥٧٥/٢ والمعجم الوسيط " لبد " .

(٢)انظر تفسير الطّبري ٧٥/٢٩ .

(٣) تفسير الطّبري ٧٥/٢٩ .

(٤) الجلالين .

(٥) تفسير الطبري ٧٦/٢٩

(٦) انظر تفسير الطبري ٧٦/٢٩ ،والمحرر الوجيز ١٤١/١٦ .

(٧) انظر تفسير الطبري ٧٦/٢٩ والجدول في إعراب القرآن وصرفه ٩٩/١٣ والمحرر الوجيز ١٤١/١٦ والكشاف ٢٧٨/٣ .

(٨) الجدول في إعراب القرآن وصرفه ١٠١/١٣ ، وتفسير الطّبري ٧٦/٢٩ .

(٩) تفسير الطّبري ٧٦/٢٩ .

(١٠) تفسير الطّبري ٧٦/٢٩ .

(١١) تفسير ابن كثير ٢٧٣/٨ .

خلفه ملائكةً يحرسونه ويحفظونه أن يَتَشَبَّه الشّيطان على صورة الملك[١] حتّى يبلّغ الرّسول ما يوحى إليه من غيبٍ في جملة الوحي[٢] ليعلم جلّ وعلا علم ظهور[٣] أنّهم قد أبلغوا رسالات ربّهم عزّ وجلّ[٤] وأحاط بما لديهم عِلْماً وخُبْراً ، وأَحْصَى كلَّ شيءٍ إحصاءً وَعَدَّاً .

(١) انظر تفسير الطّبري ٢٩/٧٧ .

(٢) انظر تفسير الطّبري ٢٩/٧٧ والجلالين .

(٣) الجلالين وانظر الجدول في إعراب القرآن وصرفه ١٣/١٠٣ وتفسير ابن كثير ٨/٢٧٤ وزاد المسير ٨/٣٨٦ .

(٤) الجلالين والجدول في إعراب القرآن وصرفه ١٣/١٠٣ .

﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ ﴾

وأمّا الموضع الآخر الذي جاء فيه الحديث عن استماع الجنّ للنّبيّ صلّى الله عليه وسلّم يُرتَل القرآن الكريم ترتيلاً فإنّه الآيات الكريمات التّاليات من سورة الأحقاف .

قال عزّ من قائل :

﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ (٢٩) قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ (٣٠) يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (٣١) وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٣٢) ﴾

والمعنى والله تعالى أعلم ، واذكر يا محمّد[١] إذ صرفنا إليك نفراً من الجنّ ، وأقبلنا بهم إليك وإلى الاستماع منك[٢] قال بعضهم : كانوا سبعة نفر من أهل نَصِيبين[٣] وقال بعضهم تسعة[٤] فلمّا حَضَروا القرآنَ ورسولُ الله صّلى الله عليه وسلّم يقرأ[٥] قال بعضهم لبعضٍ : صَهْ[٦] بمعنى اسكت [٧] فلّما قُضِيَتْ تلاوةُ القرن الكريم رجع النّفر من الجنّ إلى قومهم منذرينهم عذاب الله تعالى إن لم يتبعوا محمّداً صلّى الله عليه وسلّم ، ومبشَّرينهم

---

(١) انظر الجدول في إعراب القرآن وصرفه ٢٩/١٢ والجلالين وتفسير الطبري ١٩/٢٦ .

(٢) مفردات الرّاغب الأصفهاني : " صرف " ٣٦٧/٢ .

(٣) اختلف العلماء في تعيين موقع نصيبين ، فقال بعضهم إنّها أرض باليمن وهم أشراف الجن وسادتهم ، تفسير الطبري ٦٥/٢٩ وقيل هي مدينة من بلاد الجزيرة على جادّة القوافل من الموصل إلى الشام. معجم البلدان "نصيبين"

(٤) انظر تفسير الطّبري ٢٠/٢٦ .

(٥) تفسير الطّبري ٢٢/٢٦ .

(٦) تفسير الطّبري ٢٢/٢٦ .

(٧) المعجم الوسيط : " صه " .

بثواب الله تعالى إن هم آمنوا وعملوا صالحاً . قالوا يا قومنا إنّا سمعنا كتاباً أُنزل من بعد موسى عليه السّلام الّذي أنزل الله تعالى عليه التّوراة ، والمعروف أنّ التّوراة هي الأصلُ أو العمدة وأنّ الإنجيل كالمتمّم لشريعة التّوراة[١] والمعروف كذلك أنّ موسى عليه السّلام كبيرُ أنبياء بني إسرائيل . إنّا سمعنا كتاباً أُنْزِل من بعد موسى عليه السّلام ، هو القرآن الكريم ، مصدَّقاً لما بين يديه من الكتب السّماويّة السّابقة الّتي جاء في القرآن الكريم ذكر أربعة منها هي صُحُفُ إبراهيم عليه السّلام ،وتوراةُ موسى عليه السّلام،وزبور داود عليه السّلام، وإنجيلُ عيسى عليه السلام . والقرآن الكريم يهدي إلى الحقّ وإلى طريق مستقيم يُفْضِي إلى جنّات النّعيم . يا قَوْمَنا أجيبوا رسولَ الله محمّداً إلى ما يدعوكم إليه من طاعةِ الله [٢] وصَدَّقوه فيما جاءكم به وقومَهُ من أمر الله ونهيه وغير ذلك ممّا دعاكم إلى التّصديق به[٣] يَغفِر الله تعالى لكم من ذنوبكم وينقذكم[٤] من عذابٍ أليم موجع[٥] .

ومن لا يُجِبْ محمّداً صلّى الله عليه وسلّم داعي الله تعالى ومن لا يَتّبِع محمّداً صلّى الله عليه وسلّم فليس بمُعجز الله تعالى في الأرض وليس له من دون الله تعالى نصراء ينصرونه بِصَرْف العذاب عنه أو تخفيفه . إنّ أولئك الأشقياء الّذين لا يتّبعون محمّداً صلّى الله عليه و سلّم في ضلالٍ مبين ، وبُعْدٍ بيّن عن الصّراط المستقيم .

والعجيبُ بشأن كفّار مكّة وهم من الإنس أنّهم لا يتّبعون محمّداً صلّى الله عليه وسلّم ، بينما يَتَّبِعُ محمّداً صلّى الله عليه وسلّم فريقٌ من الجنّ يسمع للمرّة الأولى المصطفى صلّى

---

(١) تفسير ابن كثير ٢٨٦/٧ .

(٢) تفسير الطّبري ٢٢/٢٦ .

(٣) تفسير الطّبري ٢٢/٢٦ .

(٤) تفسير الطّبري ٢٢/٢٦ .

(٥) تفسير الطّبري ٢٢/٢٦ .

الله عليه وسلّم يرتّل في صلاة الفجر القرآن الكريم ترتيلاً .

وكأنّ مِنْ أهداف الآياتِ الكريماتِ في سورتي الجنّ والأحقاف تسليةَ النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم وتثبيتَ فؤادِهِ عليه الصّلاِة والسّلام .

وقد أوْحَتْ هذه المعاني بالقصيدة التّالية :